

تَارِيخُ شُعَرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ

أَبُو الْقَاسِمِ

شُعَرَاءُ
الْعَصْرِ
الْعَبَّاسِيِّ
الْأَوَّلِ



مراجعة وتلقيق
أحمد عبد الله فرهود

إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار الكلم العربي

جميع الحقوق محفوظة لدار الكلم العربي بحلب، ولا يجوز إدراج هذا الكتاب، أو أي جزء منه،
أو طبعته ونسخه أو تسهيله إلا بإذن مكتوب من الناشر.



منشورات
دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنون الدرر

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشقراني

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب | ٧٨ | فاكس ٢١١٢٣٦١

نشأته

نشأ إسماعيلُ بن القاسم في الكوفة ، ولكنه أمّ (١) بغداد فيما بعد
وأتصل بدار الخلافة ، ومدح المهدي والهادي والرشيد ، ومات في خلافة المأمون
سنة /٢١٢ هـ ، ومولده في عَينَ التمر سنة /١٣٠ هـ .

وتنقلُ الروايات أنه كان في بدء أمره يشتغل فاحورياً ، وأحبّ في تلك
الفترة فتاةً اسمها عُبّة ، وقال فيها غزلاً كثيراً ، ويقال إنه كَتَبَ أبا العتاهية لتعتبه
ومجونه واستهتاره .

ومن غزله في عُبّة :

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحْسَنَ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ
فَحَذَا بِقَدْرَةِ نَفْسِهِ حُوزَ الْجَنَانِ عَلَى مِثْلِكَ

وهي مبالغة ، وَرَجَمَ بِالظُّنُونِ ، فتوهمه هو الذي جعله يَحْسِبُهَا كَالْحُورِ
العِينِ ، وَأَنْتَى هِيَ مِنْهِنَّ ، وهل رَأَى فِي الدُّنْيَا لِيَشَبَّهُ بِهِنَّ مَحْبُوبَتَهُ ؟
ويبدو أَنَّ هذه المبالغات ، وبعض المآخذ الأخرى هي التي جعلت بعض
دارسيه يصمونّه بالزَّنَقَة أو المَانَوِيَّة ، وروى المستشرق جولدتزيهر قول أبي
العتاهية :

إِذَا أَرْنَتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلَّهُمْ فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِي مَسْكِينٍ

وتوهم أَنَّ الشاعر ينوّه بفضله بوذا .

(١) أمّ : قصد ، ذهب إلى .

الدكتور شوقي ضيف يحيف على أبي العتاهية

نقل الدكتور شوقي ضيف آراء بعض معاصري هذا الشاعر وتشكُّكهم في حقيقة زهده ، وكيف رَدَّوه إلى عناصر ماثوِيَّة ، ورأى ((أن أبا العتاهية يذكرُ الثوابَ والعقابَ في الآخرة حقاً ، ولكنَّه لا يفصِّل الحديثَ فيهما تفصيلَ القرآن الكريم ، ومن المعروف أنَّ الماثوِيَّة كانوا يدعون للزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، كما كانوا يدعون إلى ظاهرٍ حسنٍ كاجتناب الفواحش . ومن هنا يختلط الموقف على من يقرأ أشعار أبي العتاهية الزاهدة .. غير أنَّ من يتعمَّق هذه الأشعار يجد أبا العتاهية مشغولاً بما كان يراه الماثوِيَّة من أن العالم نشأ عن أصلين هما النور والظلمة ، ومن النور نشأ كلُّ خير ، ومن الظلمة نشأ كلُّ شرٍّ وأن أجناس الخير خلاف لأجناس الشرِّ ، وفي كل حاسَّة من حواسِّ الإنسان جنس قائم بنفسه من النوعين ، جنس مستقلٌّ عما يماثلُه في الحواسِّ الأخرى وفي ذلك يقول أبو العتاهية :

لكلِّ شيءٍ معيْنٌ وجوهرٌ	وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرٌ
كلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهره	أصغرُه متَّصلٌ بأكبره
الخيرُ والشرُّ هما أزواجُ	لذا نِتاجٌ ولذا نِتاجُ
لكلِّ إنسانٍ طبيعتانِ	خيرٌ وشرٌّ وهما ضيْدانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ما عدا	بينهما بونٌ بعيدٌ جدًّا

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن أبا العتاهية مانويّ من غلط جديد ، إذ يمزج بين المانوية والإسلام ، إلّا إذا كان قد مَوَّعَ عن مانويّته الخالصة بادّعاءه الوجدانية بمثل قوله :

فيا عجباً كيف يُفَضِّلُ الإله أم كيف يجحدُه الجاحدُ
وفي كل شيء له آية تدلّ على أنّه واحدُ

ويضيف الدكتور شوقي ضيف أن تعاليم ماني كانت مزيجاً من الزرادشتية والنصرانية والبوذية ، ونرى أبا العتاهية يصوّر لنا في بعض شعره الزاهد الناسك في صورة بوذا المشهورة إذ يقول :

يا لمن تشرفَ بالدنيا وزينتها ليس التشرفُ رفعَ الطين بالطين
إذا أرنّت شريفَ الناس كلهم فانتظرْ إلى ملكٍ في زيّ مسكين

ومعروف أن بوذا عند الهنود كان ملكاً أو ابن ملك خلّع ثيابه ملكه وساح في العالم عابداً ناسكاً .

وحصلة عند أبي العتاهية لا يمكن تفسيرها إلا على أساس نزعة المانوية ذلك أنّه كان مع دعوته إلى الزهد شحيحاً شديداً مع كثرة ما كان يكتنز من الذهب والفضة .. حتى ليأبى أن يتصلّق بدائق (١) ، وتفسر ذلك أنّ المانوية كانوا يؤمنون بأنّ المانوي الصادق ينبغي أن يعيش على المسألة ، فلا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غُرمه ومأثمه (٢) .

(١) الدائق : سلس الدرهم . والساقط المهزول .

(٢) انظر العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف / ٢٤٢-٢٤٣ .

وليس من السهل أن نُخرج مُسلماً من دين الله الإسلام ، وتلحقه
 بالماتوية المحوسية ، وعندنا أن من نطق بالشهادتين فهو مسلم ، ومعنى هذا أن
 من يذكر إيمانه بالآخرة ، ولو مرة ، فقد دلّ على إيمانه بها ، وأبو العتاهية
 يقول :

فلو أنا إذا ميتاً تركنا لكان الموت غايّة كل حيٍّ
 ولكنا إذا ميتاً بعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء

تحولّه من اللّهُو إلى الزّهد

أمضى أبو العتاهية قرابة خمسين سنة من عمره (١٣٠ - ١٨٠) هـ
 وهو يعيش اللّهُو والقَصْف ، حتى كانت سنة ١٨٠ / هـ ، وهي السنة التي نزلَ
 فيها الرّشيدُ الرّقة ، فإذا هو يتحوّل من حياة اللّهُو إلى حياة الزّهد والتّقشّف
 وليس الصّوف .

ولكنّ أبا العتاهية الذي أكثر منذ هذا التاريخ من شعر الزّهد لم يكن
 متفقاً ، فنَدّت عنه شوارد ، وأخذت عليه في طريقته مآخذ ، من ذلك أنّ
 عبداً لله بن المبارك رضي الله عنه ، وكان عبداً لله أمير المؤمنين في الحديث
 النبوي في عصره ، مرّ ببغداد برجل يلبس ثياباً رتّة ، ويتظاهر بالتّقشّف فقال :
 من هذا . ف قيل له : أبو العتاهية ، فكبّ إليه :

أبها الزاهد الذي ليس الصوف - وأضحى بعد في العباد
 لزم التفر والتعبد فيه ليس بغداد موضع الزهاد
 إن بغداد للتجار محل ومناخ للقرئ الصياد

فليس الزُّهْدُ - في نظر ابن المبارك - في المظاهر الصُّوفية فقط ، بل لا بدُّ من العمل الجثيث مع ذلك ، حتى يكفَّ المرء وجهه عن الناس ، وحتى يجاهد في سبيل الله مدافعاً عن المسلمين ، على شاكلة ما كان يصنع عبداً لله بن المبارك الذي كان يهاجر من بلده مرّو ، ليسهر على ثغور المسلمين في شِمَالِ الشَّام وليحرسهم من غارات الأعداء .

أسلوبه

تنحى أبو العتاهية في قصائده عن المقدمة الطلّية ، وعن وصف الصحراء إلا ما قد يأتي عرضاً ، ولم يعدّ يتمسك بالأسلوب الجزل الرّصين ، بل مال إلى الأسلوب اللين الخفيف ، وتفشّى في أشعاره الكلام الشعبيّ الفصيح ، الذي اقتبسه من الحياة اليومية ، مبتعداً عن التكلّف والتّصنع ، ومن خير ما يمثل ذلك عنده مدحُه في المهدي ، وفيها يقول :

أَتَنَّهُ الْخِلَافَةُ مَنْقَادَةً	إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَنْيَالُهَا
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ	وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ	لَزَلَزَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تَطْعُهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ	لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا (١)
وَإِنَّ الْخِلَافَةَ مِنْ بَغْضٍ ((لَا))	إِلَيْهِ لِيُبْغِضَ مَنْ قَالَهَا

والقصيدة من البحر المتقارب ، وهو بحر خفيف ، وألفاظها عذبة سهلة.

(١) بنات القلوب : النِّيات .

مع الرشيد

أكبر خليفة عُني أبو العتاهية بمدحه هو الرشيد ، وقد أشار إلى توليته العهد لابنيه من بعده فقال :

وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِمُتَيَّةٍ ثَلَاثَةَ أَمْلَاحٍ وَوَلَاةٍ عَهْدٍ

وكان يحرص دائماً على مدحه بالتقوى والانصراف عن الدنيا متعرّضاً لوصف جيوشه وذُبحه عن حمى الإسلام وما يُنزل بأعدائه من موت يحقّقهم يقول :

وهارونُ ماءُ المِزْنِ يُشَقَّى به الصّدَى
إذا ما الصّدَى بالرّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ (١)
وأوسطُ بيتٍ في قَرِيشٍ لَبِيكُهُ
وأوّلُ عِزٍّ في قَرِيشٍ وَآخِرُهُ
إذا نُكِبَ الْإِسْلَامُ يوماً بِنَكْبَةٍ
فهارونُ مِنْ بَيْنِ الْهَرِيَةِ ثَاثَرُهُ
وَمَنْ ذَا يَفُوتُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتَ مَدْرَكُ
كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونُ ضَيْدٌ يُنَافِرُهُ

والأسلوب هنا جزل رصين ، ولكنه لا يُعِيدُ في جزالته ورسالته .

(١) المِزْنُ : السُّحْبُ . الصّدَى : العطش . الصّدَى : العطشان .

مرثيته في علي بن ثابت

قال أبو العتاهية يرثي علي بن ثابت :

فَتَى لَمْ يَمَلْ التَّدَى سَاعَةً	على عُصْرِهِ كَلَنْ أَوْ يُسْرِهِ
أَنْتَهُ الْمَنْيَةُ مَغْتَالَةً	رَوَيْدًا تَخْلُلُ مِنْ سَيْرِهِ
فَخَلَّى الْقُصُورَ لَمَنْ شَادَهَا	وَحَلَّ مِنَ الْقَبْرِ فِي قَفَرِهِ
وَأَصْبَحَ يُهْدَى إِلَى مَنْزِلِ	عَمِيقٍ تُؤْتَقُ فِي حَفَرِهِ
أَشَدُّ الْجَمَاعَةِ وَجْدًا بِهِ	أَشَدُّ الْجَمَاعَةِ فِي طَمَرِهِ

غزله

لأبي العتاهية غزل رقيق ، يقول في عتبة :

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا نُرَّةً	أَخْرَجَهَا الْيَوْمُ إِلَى السَّاحِلِ
كَأَنَّ فِيهَا وَفِي طَرَفِهَا	سَوَاحِرَ أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
لَمْ يَبْقَ مِنِّي حُبُّهَا مَا خَلَا	حَشَاشَةً فِي بَدَنِ نَاحِلِ
بَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بِكَى	مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَتِيلِ

زهدياته

منذ توبة هذا الشاعر ظلَّ قرابة ثلاثين عاماً يتغنَّى بكأس الموت الدائرة على الخلق .

فالمالُ إنما ينفعُ المرءَ إذا بقي مملوكاً يُنفقُ على المحتاجين ، فينتفعُ صاحبه
بأجره في الآخرة ، أما الذي يدخره ويكتنزه فلا ينتفع منه : (١)

إذا المرءُ لم يُعَقِّ من المال نفسه ثمَّلكهُ المالُ الذي هو مالِكُهُ
ألا إنما مالي الذي أنا منفقٌ وليس لي المالُ الذي أنا تاركُهُ
إذا كنتَ ذا مالٍ فبالرءِ بالذي بحقٍّ وإِلا استهلكته مهالكُهُ

السير في الفتن

عجباً لمن يسعى من أجل الدنيا ، ولا يفترُّ ، ويغوص في الفتنة ، وفيها
هلاكه ، فما مثله إلا كمثل الأنعام ، دائماً تراها تطلب المرعى ، وترجو أن
تَسْمَنَ ، مع أنها إذا سَمِنَتْ صارت جاهزةً للذَّبْحِ فيذبحها صاحبها :

للهِ دنيا أناسٍ دائبين لها قد أرتعوا في رياض الغيِّ والفتنِ (٢)
كسائماتٍ رتاعٍ تبتغي سيمناً وحتفها لو نرت في تلك السمنِ (٣)

إلهي لا تعذبني

لقد أخطأتُ ، يامولاي ، وأعترفُ بما جنتُ يداي ، فاعفُ عني ، ولا
تعذبني ، فما وقع قد وقع ، وليس له من منقذ إلا عفوك ، وإني لأخمين بك

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((إنما لك من مالك ما أكلت فأغصيت أو لبستَ
فأبليت ، أو تصلَّغت فأمضيت)) .

(٢) دائب : جادٌ ، كثير العمل . أرتعوا : رَعَوْا وأصابوا . الغيِّ : الضلال .

(٣) سائمات : راعيَات . حتف : موت .

مولاي ظنني ، وأبرؤ بذنبي ، فقد فرطت مني خطايا كثيرة ، أو كم أنا عليها
 نادمٌ ومع كل تلك الخطايا يظنّ الناسُ بي خيراً ، لأنهم لا يعرفون ، ولا
 يدرّون أنني أحبّ زينة الحياة الدنيا ، وزهرتها ، وعرضها الزائل :

إلهي لا تعذبني فإني	مُقرُّ بالذي قد كان مني
وما لي حيلة إلّا رجائي	لعطوك إن عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا	وأنت عليّ نو عفوّ ومنّ
إذا فكرتُ في ندمي عليها	عضضتُ أتلعللي وقرغتُ سيني
أجنّ بزهرة الدنيا جنوناً	واقضي طولَ عمري بالتمني

آمال عريضة

ما أكثر الآمال التي حلّمتُ بها ، وكم أقبلتُ على الدنيا وشغفتُ !
 حسبي حسبي ، لقد آن لي أن أستعدّ للرحيل ، وأحسبَ حسابَ الموت :

تعلمتُ بآمالٍ	طوال أيّ آمالٍ
واقبلتُ على الدنيا	مليحاً أيّ إقبالٍ
أبأ هذا تجهّز لي	لغراق الأهل والمالٍ
فلا بدّ من الموتِ	على حالٍ من الحالِ

لا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا

يُنْتَهِي اللَّيْلُ لِمَ فَيَعْقِبُهُ نَهَارٌ ، وَخِلَالَ ذَلِكَ تَقْضِي أَجْيَالٌ وَتَمْضِي أَشْيَاءٌ وَتَقْنَى تَحْلُوقَاتٌ ، وَعُزْتُ شَخْصٌ ، قَيْنِدْبِهِ عَجَبٌ ، ثُمَّ يَسْلُو عَنْهُ ، ثُمَّ يَمُوتُ هَذَا الْحَبَّ السَّالِي ، فَيَسْلُو عَنْهُ أَيْضاً أَصْحَابُهُ وَأَحِبَّابُهُ ، وَيَعِيشُ الْمَرْءُ يَنْعَمُ عِلَاقَةَ الْحَيَاةِ وَنَعِيمِهَا ، ثُمَّ يَتْرُكُهَا وَكَأَنَّمَا كَانَتْ سَرَاباً ، فَمَا أُخْرَى بِهِ أَلَّا تَسْتَهْوِيَهُ الدُّنْيَا وَلَا تَغْفُلَ عَنِ الْإِعْتِبَارِ بِمَنْ مَضَى ، فَإِنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ :

- | | |
|--|---|
| وَكُلُّ غَضٍّ جَدِيدٍ فِيهِمَا بَالٍ (١) | مَا لِلْجَدِيدَيْنِ لَا يَبْلَى اخْتِلَافُهُمَا |
| كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَيْضاً عَنْكَ مِنْ سَلَالٍ (٢) | يَلْمَنُ سَلَا عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ مَوْتِهِ |
| مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لِمَعَّةِ الْآلِ (٣) | كُلُّ نَحْلٍ نَعِيمٍ أَتَتْ ذَائِقُهُ |
| مَا شِلْتِ مِنْ عَجَرٍ فِيهَا وَأَمْثَالٍ | لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى |
| لَوْ لَا هِيَ حِيلَةٌ فِيهَا لِمَحْتَالٍ | مَا حِيلَةُ الْمَوْتِ إِلَّا كُلُّ صَالِحَةٍ |

لِنُؤَا لِلْمَوْتِ

يَتَرَالَذُّ النَّاسُ ، وَإِذَا الْمَوْتُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ ، وَيَتَوَنُّ مَا يَتَوَنُّ ، وَإِذَا

(١) الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

(٢) سَلَا : شَغَلَ عَنْهُ وَنَسِيَ ذِكْرَهُ .

(٣) الْآلُ : السَّرَابُ .

بذلك يصير إلى ياب (١) ، وإذا بالبناء يؤولون إلى فناء ، ويدرون ما بنوا إلى ورثتهم ، مستسلمين إلى الموت الذي يأتي على كل البشر ، دون أن يحشف على أحد ، ولا يجامل من أحد . وفي الآخرة يُسأل المرء عما كسب في دنياه وإن أجوبته تكون وفق صحيفة أعماله التي اكتسبها في دنياه ، وتكون عاقبته أيضاً بحسب أعماله ، جنة أو ناراً :

لِنُوا لِلْمَوْتِ وَابْتَأُوا لِلْخَرَابِ	فَكُنْكُمْ بِصِيرُ إِلَى تَبَابِ
لَمَنْ نَبَنِي وَنَحْنُ إِلَى تَرَابِ	نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تَرَابِ ؟
أَلَا بِأَمْوَاتٍ لَمْ أَرْ مِنْكَ بَدْأَ	أَتَيْتَ وَمَا تَحِيْفُ وَمَا تُحَابِ
سَأَسْأَلُ عَنْ أُمُورٍ كُنْتُ فِيهَا	فَمَا عَذْرِي هُنَاكَ وَمَا جَوَابِ
بِأَيَّةِ حُجَّةٍ أَحْتَجُّ يَوْمَ الْحَسَابِ	إِذَا دُعِيتُ إِلَى الْحَسَابِ
هَمَا أَمْرَانِ يَوْضَعُ عَنْهُمَا لِي	كُتَابِي حِينَ أَنْظَرُ فِي كُتَابِ
فَإِمَّا أَنْ أَخْلُدَ فِي نَعِيمٍ	وَإِمَّا أَنْ أَخْلُدَ فِي عَذَابِ

غرور الدنيا

تعرض الدنيا ألوان مغايتها ، وإذا النفوس ثقيل عليها ، وتعلق عليها آمالاً عريضة ، ورغائب كثيرة ، كلما أشبع منها المرء رغبة تولدت له رغبة أخرى أفيستسلم لرغائب دنيوية لا تكاد تنتهي ، مع أن عمره ينتهي ؟ ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ ، ولا شك أن الذي لا يجعل همه الآخرة لفقر فقير :

(١) ياب : خراب .

نَصَبْتُ لَنَا دُونَ التَّفَكُّرِ دُنْيَا
 أَمَاتِي بِقُنَى الْعَصْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْنَى
 مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا
 إِلَى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى ؟
 لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا قَضَى اللَّهُ خُطَّةً
 مِنَ الْأَمْرِ فِيهَا يَسْتَوِي الْعَبْدُ وَالْمَوْلَى
 وَإِنْ أَمْرًا يَسْمَعِي لِغَيْرِ نَهَايَةٍ
 لِمَنْعَمٍ فِي لُجَّةِ الْفَاقَةِ الْكَبِيرَى

لا قرار في الدنيا

أَيُّ مَا تَحَرَّيْنَا بِهِ الْقَرَارَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَلَنْ يَكُونَ قَرَارًا ، كَيْفَ وَالدُّنْيَا كُلُّهَا
 زَائِلَةٌ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ هَوَاهُ ، وَيَسْتَحِبْ لِرَغَائِبِهِ يَصْبَحْ لَهَا عَبْدًا ، وَمَنْ عَفَّ وَنَهَى
 نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا ، كَانَ حُرًّا :

طَلَبْتُ الْمَسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرِ لِي بِأَرْضٍ مُسْتَقَرًّا
 أَطْعَمْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَتْنِي وَلَوْ أَنِّي قَبِغْتُ لَكُنْتُ حُرًّا

أهل القبور

يَخَاطَبُ الشَّاعِرُ صَاحِبِينَ لَهُ ، وَيُوصِيهِمَا أَنْ يَمْرَأَ بِالْقُبُورِ ، وَيَسْلَمَا عَلَى
 أَهْلِ دِيَارِ الْآخِرَةِ ، فَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ الْبَطْلُ الْفَحْلُ ، وَالسَّيِّدُ الْمَبْجُلُ ، وَمِنْهُمْ
 وَمِنْهُمْ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا تَحْتَ صَفَائِحِ الْقُبُورِ ، وَنَحْنُ الْأَحْيَاءُ بِهِمْ لَاحِقُونَ :

رِ وَسَلَّمَا قَبْلَ الْمَسِيرِ	أَخَوِي مُرًّا بِالْقَبْرِ
مِنْ مَاجِدٍ قَرَمٍ فَخُورٍ (١)	ثُمَّ ادْعُوا مَنْ عَادَهَا
أَغْرَ كَالْقَمَرِ الْمَنِيرِ	وَمَسْوَدٍ رَحِبِ الْفَنَاءِ
بَيْنَ الصَّفَاحِ وَالصُّخُورِ	أَصْبَحْتُمْ تَحْتَ الثَّرَى
لَا بَدَّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ	أَهْلَ الْقُبُورِ إِلَيْكُمْ

غُرُورُ الْمَطَامِعِ

إِلَى مَتَى إِلَى مَتَى أَجْرِي وَرَاءَ مَطَامِعِي وَرَغَائِي وَلَا أَعِيفُ ، إِنَّ خَسِرًا مِنْ
كُلِّ ذَلِكَ صَبْرٌ وَقَنَاعَةٌ ، وَحَذَرٌ مِنَ الْغَفْلَةِ ، فَهَذِهِ الدُّنْيَا مَكْدُورَةٌ ، وَحَرِيٌّ بِالْمُرءِ
أَلَّا يَرْكَنَ إِلَيْهَا ، وَأَلَّا يَشْتَطَّ فِي الْفَرَحِ ، وَلَا يِيَالِغَ فِي الْحُزْنِ ، وَيَعْتَصِرَ عَمَّنْ قَبْلَهُ
كُلُّ لَمَّا انْتَهَى أَجَلُهُ مَضَى ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ثَرِيًّا لَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا مَعَهُ . أَلَا
وَلِإِنَّ أَمَانًا حَسَابًا وَسُؤَالًا ، فَلْتَرْعَوْا عَنِ الْأَهْوَاءِ ، وَلْتَحْتَبِ مَا يُخَالِفُ الْجَمَاعَةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ وَيَفَرِّقُ شَمْلَهَا :

حَتَّى مَتَى يَسْتَفْزِي الطَّمْعُ	أَلَيْسَ لِي بِالْكَفَافِ مُتَسَعٌ
مَا أَفْضَلَ الصَّبْرَ وَالْقَنَاعَةَ	لِلنَّاسِ جَمِيعًا لَوْ أَنَّهُمْ قَنَعُوا
وَأَخَذَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَأَقْوَامَ	أَرَاهُمْ فِي الْغَيِّ قَدْ رَتَعُوا
أَمَّا الْمَنَالُ فَعَبْرٌ غَافِلَةٍ	لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ كَأْسِهَا جُرْعُ
أَيُّ لَبِيبٍ تَصِفُو الْحَيَاةَ لَهُ	وَالْمَوْتَ وَرَدَّ لَهُ وَمُنْتَجِعُ
لَقَدْ حَلَبْتُ الزَّمَانَ أَشْطَرَهُ	فَكَانَ فِيهِنَّ الصَّابُ وَالْمَسْلَعُ (٢)

(١) عَادَهَا : زَارَهَا ، أَي مَاتَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِهَا . مَاجِدٌ : سَيِّدُ عَالِي الشَّانِ . قَرَمٌ : فَحْلٌ .

(٢) الصَّابُ وَالْمَسْلَعُ : نَبَاتَانِ مُرَّانِ مِثْلُ الْعَلَقَمِ .

مالي بما قد أتى به فرَحَ ولا على ما ولى به جزَعُ (١)
لله درَ النَّفْسِ لقد لعبتَ قبلي بقوم فما ترى صنعوا
بأنوا ووفَّتهم الأهلَّةُ ما كان لهم والأيام والجُمُعُ
أثروا فلم يدخلوا قبورهم شيئاً من الثروة التي جمعوا
غداً تُوفَّى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
تبارك الله كيفَ قد لعبتَ بالنَّاسِ هذي الأهواءُ والبَدْعُ
شئتَ حبَّ النَّفْسِ جماعتهم فيها فقد أصبحوا وهم شيعُ

الموت والقبر

رأيتُ الحقَّ لا يخفى ولا تخفى شواكلهُ
ألا فلتظرْ لنفسِكِ أيَّ - زادِ أُنْتَ حاملهُ
لمنزلٍ وحدهِ بين المقابر - أُنْتَ نازلهُ
قصير السَّمَكِ قد رُصَّتْ عليك به جنايلهُ (٢)
بعيد تزاور الجيران - ضيقهُ مداخلهُ
ألا إنَّ المنيَّةَ منهلٌ - والخلقُ ناهلهُ
ليعلم كلُّ ذي عملٍ بأنَّ الله سائلهُ

وعلى هذه الشاكلة يتحدَّث هذا الشاعر عن الموت القريب ، وضرورة
الزُّهد في الدنيا ، وأنَّ الموت حقٌّ لا مفرَّ منه ، ووراء حساب وجزاء وجنة أو
نار . وصَبَّ كلُّ هذه الحكم بقلب شعبي بسيط ، يفهمه الخاصة والعامة ، من
دون أن يستعمل اللغة اليوميَّة العاميَّة .

(١) وكى : تخفف من ولى .

(٢) السَّمَك : السقف . جناذل : حجارة .